وقال ابن المعتز فى وصف الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وجاء فى سقط الزند للمعرى وصف للسماء وما فيها من اجرام وقد صُوّرت أحسن تصوير فى قالب شعرى جميل :

كأن سهاها فى مطالع أفقه مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
كأن بنى نعش ونعشاً مطافل بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عوّد فآونةً يبدو وآونةً يخفى
كأن قداى النسر والنسر واقع قصصن فلم تسمُ الخوافى له ضعفا

وجاء أيضاً :

سقتها الذراع الضيغمية جهدها فما أغفلت من بطنها قيد أصبع
بها ركز الرمح السماك وقطعت عُرى الفرع فى مبكى الثريا بأدمع
ويستبطأ المريخ وهو كأنه إلى الغور نار القابس المتسرع
وتبتسم الأشراط فغراً كأنها ثلاث حمامات سدكن بموضع
وتعرض ذات العرش باسطةً لها إلى الغرب فى تغويرها يد أقطع

وجمع الشيخ اليازجى أسماء البروج فى ثلاثة أبيات فقال :

من البروج فى السماء الحملُ تنزل فيه الشمس إذ تعتدل
والثور والجوزاء نعم النزله وسرطان أســـد وسنبله
كذلك الميزان ثم العقرب قوس وجدى دلو حوت يشرب

وقال أبو العباس ابن الخليفة المعتز بالله فى مخاطبة القمر :

ياساق الأنوار من شمس الضحى يامشكلى طيب الكرى ومنغصى
أما ضياء الشمس فيك فناقص وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل متسلخ بهما كلون الأبرص

ولا يمكننا فى هـذه العجالة الاتيان على أكثر ما قاله الشعراء وعلماء الفلك والرياضة فى مبادىء العلوم الرياضية والفلكية فهو أجل من أن يحاط به فى مقالة أو مقالتين آملين العودة إلى البحث فيه بصورة أوسع وأوفى للمرام .

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

ضحى الاســـــلام
وهو الكتاب التالى لفجر الاسلام
للأستاذ احمد أمين
ثمنه ٢٠ قرشاً

فصول مدرسية فى الأدب العربى

٦ ـ الرواية المسرحية

فى التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

المأساة فى خلال القرون

لعلك تذكر أننى أشرت عند الكلام عن منشأ الرواية إلى أن أصل المأساة هو تلك الأناشيد التى كان يغنيها القيان (الخورس) إجلالاً لباكوس إله الخمر يوم عيده . وكلمة (تراچيدى) اليونانية لا تزال تحمل دليل هذا الأصل . فمعناها غناء الجدى ، وهى مركبة من كلمتين : (تراجوس tragos) : جدى ، و(أودى ode) : غناء . وذلك لأن الجدى كان مخصصاً للقربان فى ذلك اليوم ، ولأن القيان كن ينشدن تلك الأناشيد أثناء ذبحه . وقلت إن (إيسچين) وضع الحجر الأول فى بناء المأساة ، ولكن اسخيلوس (٥٢٥ — ٤٥٦ ق م) هو الذى صورها وسواها بخلقه الحوار ؛ ثم أبقى على القيان ، وبث فى المأساة الرعب على الأخص ، وجعل تصريف الأشخاص بيد القدر . وجاء سوفوكليس (٤٩٥ — ٤٠٥ ق م) فقلل من عمل القيان ، وأضعف من شأن القدر ، وعزا جزءاً من العمل إلى أهواء الانسان وحريته ، وأحكم العقدة الروائية . وأشهر مآسيه أنتيجون ، وإلكتر ، وأوديب الملك ، وفيلوكتيت . ثم كان أوريپيدس (٤٨٠ — ٤٠٢ ق م) فكاد يلغى القيان ، وأخفى أثر القدر من رواياته ، وجعل الأمر كله لتصارع الأهواء ، وبث فيها الرحمة على الأخص . وأطلق عليه أرسطاليس اسم أمير المأساة . ولكنهم أخذوا عليه الاغراق فى تعقيد العمل ، والالتجاء إلى معونة الآلهة فى الحل ، وحشوه القطعة بالحكم الفلسفية . وأشهر مآسيه ألسست وهيكوب وإيفجينى وأوليس . ثم نضبت قرائح اليونان من المأساة بعد أوريپيدس فلم ينبغ فيها منهم أحد .

أما الرومان فيلهم الغريزى إلى المشاهد الوحشية الدموية

كمصارعة الوحوش والثيران أزهق فيهم روح الفن الروائى ، وشغلهم عن إحادة المأساة . وما نسبوه من المآسى إلى سنيكا (٦١ ق م — ٣٠ ق م) ليس إلا تطبيقات مدرسية صيغت فى أسلوب روائى . ثم درست معالم المأساة ، وانقضى أمرها فى العصور الوسطى ، فلم تعد ثانية إلى الظهور إلا مع النهضة العامة فى القرن السادس عشر . ظهرت فى فرنسا واستمدت موضوعاتها من الأساطير اليونانية واللاتينية ، واقتبست قواعدها من الأدب القديم ، حتى جاء اسكندر هاردى فاستقاها من موارد الاسبان والطليان أيضاً . وظلت المأساة على هذا النحو من التقليد والفوضى حتى أدركها كرنى زعيم المسرح الفرنسى ، وخالق المأساة الحديثة ، فزاد على غرضيها الأوليين وهما الرعب والرحمة ، غرضاً ثالثاً وهو الاعجاب ، وحصر أسباب هذه الأغراض الثلاثة فى قلب الرجل وهواه ، ووصف الناس كما ينبغى أن يكونوا ، وجعل الخلق الغالب على أشخاصه النبل والبطولة ، وضحى بالهوى على مذهب الواجب ، وأضعف أثر الحب فى رواياته ماعدا « السيد » . ثم أعقبه راسين فترك الرحمة فى النفوس على ضحايا الأهواء ، ولا سيما ضحايا الحب والغيرة ، وأرخى عقدة الرواية إيثاراً لجاذبية التصوير الخلقى على جاذبية التعقيد الروائى ، وجعل للحب المحل الأول فى رواياته ، ووصف الرجل كما هو لا كما ينبغى أن يكون كما فعل كورنى . ثم يأتى ڤولتير فى حسن الأثر وعظم الفضل ثالثاً لكورنى وراسين ، ولكنه دونهما فى البراعة والاجادة . فقد أنكر النقاد عليه مزجه الحكاية بالفلسفة ، وقصوره عن تصوير أخلاق أشخاصه ، غير انهم يذكرون له حسن صنيعه فى تقويته حركة العمل الروائى ، وحرصه على حفظ اللون المحلى فى المسرح

* * *

ثم جاء القرن التاسع عشر ، وظهر المذهب الابتداعى فهاجم المأساة وطاردها فى المسارح حتى قضى عليها ، واستبدل بها المأساة العصرية أو الدرامة ، ولم يبق من أنصارها المؤلفين فيها والناضلين عنها إلا تلما Talma المتوفى سنة ١٨٢٦ ، وراشيل المتوفى سنة ١٨٥٨ ، ودلافنى المتوفى سنة ١٨٦٨ مؤلف لويس الحادى عشر وأطفال إدوار . ثم بُنسار المتوفى سنة ١٨٦٧ مؤلف لُكريس ، وأنبيس دمورانى ، وشرلوت كردى . وقد ظل هذا الكاتب حيناً من الدهر زعيم المعارضة لڤكتور هوجو عميد المذهب الابتداعى .

أما أمر المأساة فى غير فرنسا فقد كان ساقط الشأن قليل الجداء ، اللهم إلا فى انجلترا فقد ألف شكسبير جملة من المآسى الخالدة كروميو وجوليت ، وعطيل ، والملك لير ، ومكبث ، وهملت ، ويوليوس قيصر ، وانطوان وكليوبطرة ، وكريولان . وكلها ماعدا الثلاث الأخيرة مقتبسة من التاريخ الحديث

تحليل موجز لأشهر المآسى

نريد بتحليل ما اخترناه من المآسى الرائعة الكشف عن هيكلها العظمى ليتبين القارىء فيها كيف يتوزع العمل فى الفصول وتتدرج الجاذبية فى الحادث ، وتراعى الوحدة فى الموضوع ، وتسير الرواية على حكم ما قرأ من القواعد . وسنختار ما تحلله مما خلد على الدهر وعلق بالقلوب من روائع كورنى وراسين وڤولتير وشكسبير عسى أن يكون فى اختصارها له حادياً لقراءتها ودراستها

مآسى كورنى : (السيد Le Cid)

وقعت حوادث هذه المأساة فى أشبيلية أواخر القرن الحادى عشر فى ساحة من ساحات المدينة ، ثم فى دار كُنت جُرماس ، ثم فى قصر الملك . وأهم أشخاصها : الدون ديبيج أبو رُدريج ، والدون جوميز كنت جُرماس أبو شيمين ، ورودريج حبيب شيمين ، وشيمين خطيبة رودريج ، والدون فرناند الأول ملك قشتاله ، والدون سانش منافس رودريج فى حب شيمين . وموضوعها زواج رودريج من شيمين ، والحيلولة دونه بلطمة الكنت للدون ديبيج ، وانتقام رودريج لأبيه من والد خطيبته

فى الفصل الأول : بينما كانت أسرتا الأميرين (دون ديبيج) ودون جوميز على وشك الاتصال بالمصاهرة أسند الملك امارة (الاتقانت) إلى الدون ديبيج ، وكان الدون جوميز يرى نفسه أحق بها وأهلها . فيتمارى الأميران وهما خارجان من مجلس الملك وتتسعر بينهما نار الجدل حتى يلطم الدون جوميز صاحبه لطمة يريد أن يدفع عارها عنه بالسيف فيخونه عزمه ويظهر عليه خصمه . فليجأ إلى ولده رودريج يطلب منه أن ينتقم له . فيتردد رودريج هنيهة ، ثم يقول : ها خطتا خسف لا مَعْدى لى عن واحدة منهما : اما سمعة

الاهانة إلى الأبد ، وإما الانتقام من أبي الحبيبة . ثم لايلبث أن يغلب واجبه على هواه فيقول

الفصل الثاني : يأبى الكنت أن يعتذر عن فعلته للدون ديبيج على الرغم من إلحاح الملك . ويدخل في أثناء ذلك رودريج فيدعوه إلى المبارزة ويقتله . ويعلم الملك فردناند بغزو العرب وقتل الكنت في وقت معاً ، وينعى الناعي لشيمين أباها فترفض الزواج من رودريج القاتل وتطلب إلى الملك عقابه ، ويتولى الدفاع عن ولده الدون ديبيج

شيمين (للملك) : أنا أطلب العدل .

دون ديبيج : اسمي دفاعي .

شيمين : لقد كسر أيها الملك عضادة صولجانك ، وهدم ركنا من أركانك . إنه قتل أبي .

دون ديبيج : انه انتقم لأبيه !

شيمين : إن من واجب الملك أن يحقن دماء رعيته .

فيسمع الملك لها وله ، ثم يحيل الفصل في القضية إلى مجلسه .

الفصل الثالث : وفي أثناء انتظار الحكم يدخل رودريج على شيمين يسألها أن تقتله هي بيدها ، فتقف موقف الحيرة مليا بين الحقد والحب ، ثم يفوز الشرف فتصرفه من وجهها وهي مصرة على القصاص . ويلقى الدون ديبيج ولده فيهنئه بفوزه ، ويمدحه على شهامته ، ويرسله إلى قتال العرب وقد أوشكوا أن يفتحوا أشبيلية ، عسى أن يكون بلاؤه الحسن في جهاد العدو وسيلة إلى عفو الملك وصفح شيمين .

الفصل الرابع : يهزم رودريج العرب تحت أسوار أشبيلية ويعود مظفراً بالأسرى وقد لقبوه بالسيد — وهي كلمة السيد بالعربية محرفة — فيقص على الملك أنباء مجده ونصره ، وتأبى شيمين مع ذلك إلا القصاص . فيجيبها الملك ويأمر بالمبارزة القضائية ، وهي أن تختار من تشاء ليبارز السيد على أن تكون زوجة الغالب ، فاختارت الدون سانش .

الفصل الخامس : يلقى السيد شيمين فيصرح لها أنه لن يدافع عن نفسه ، وانه لم يجيء إلا ليودعها الوداع الأخير فتحاول صده عن عزمه ، ويأبى هو إلا إنفاذه ، فتقول له : «دافع عن نفسك وانقذني من دون سانش ، وإذا خرجت من المعركة فائزاً كنت لك »

فيخرج من عندها قويا بهذا الوعد وينقض على خصمه فيجرده من سيفه ، ويحكم الملك عليه أن يحمل سيف السيد لشيمين ، فينالها الجزع الشديد ظنا منها أنه قتل ، ولكن الملك يطمئنها على حياته ، ويعلمها أنها تستطيع أن تتزوجه متى كفكف من دموعها الزمن

(هوراس Horace) : وقعت حوادثها في روما في غرفة من بيت هوارس عام ٦٦٨ قبل الميلاد . وموضوعها انتصار روما على « ألب » في موقعة شعواء دامية نشبت بين بني هوراس وبني كرياس ، ومغزاها إيثار محبة الوطن على محبة الأسرة ، وأعم أشخاصها ملك روما ، والشيخ هوراس فارس روماني ، وهوراس ولده ، وكرياس أحد أشراف ألب وحبيب كاميل ، وقالير فارس روماني وعاشق كاميل ، وسابين زوجة هوراس وأخت كرياس ، وكاميل حبيبة كرياس وأخت هوارس ، وجوليا نجية سابين وكاميل .

الفصل الأول : أزف يوم المعركة الحاسمة بين الرومانيين والألبيين ، فتجد سابين جالسة تشكو الى نجيتها صرامة القدر الذي جذم الحبل بين ألب مسقط رأسها ، وبين روما بلد زوجها ، وتألم لحظها المنكود وهما المتقسم . وتبثها كاميل أيضاً مخاوفها المتوقعة ، وعواطفها المتوزعة ، ويهدىء روع كاميل إشارة من الآلهة ، ولكنها ترى رؤيا تقلق بالها وتقلب حالها . ويقدم خطيبها كرياس فينبئها أن المعركة لن تكون ، وأن قوميهما رأوا حقناً للدماء أن يقصروا المعركة على ثلاثة أبطال من كلا الفريقين ، ويكون فوز الثلاثة فوزاً لقومهم .

الفصل الثاني : يجتمع مجلس الشيوخ الروماني فيختار للمعركة أبناء هوراس الثلاثة . ويقبل كرياس خطيب كاميل فينبىء صهره بما أحرز من ثقة وشرف . ويأتيه النبأ بعد قليل بأن مدينة ألب اختارت عنها أبناء كرياس الثلاثة . يتأهب الأبطال للذهاب الى المعركة ، ولكن خطيب كاميل يكره أن يقاتل إخوة حبيبته ، بينما زوج سابين لا يرى في أصهاره إلا أعداء لروما وأخصاماً للوطن . وتجهد كاميل وسابين في تخذيل الأبطال عن القتال ، ولكن الشيخ هوراس يقبل فيشجعهم على الحرب ويبعث بهم الى الميدان .

الفصل الثالث : تدخل جوليا فتنبىء سابين وكاميل بأن الأقران برز بعضهم لبعض ، وأن الجيشين أدركتهما الشفقة فعارضا في تقاتل الاخوة ، وطلبا إما المعركة بين الجيشين ، وإما الاختيار من غير هاتين الأسرتين . ولكن الشيخ هوراس يقبل

وعلى لسانه الخبر المشئوم بأن الملك استشار الآلهة فى هذا الاختيار فأقروه ، وأن المبارزة بين الاخوة قد بدأت . وتطالع جوليا القتال عن بعد فترى اثنين من بنى هوراس يسقطان مجندلين ، والثالث يلوذ بالفرار ، فتبادر القوم باعلان هزيمة روما . ويتحدم الشيخ هوراس حنقاً وغضباً من جبن ولده . فتقول جوليا : وماذا يصنع واحد أمام ثلاثة ؟ فيجيبها الأب فى شدة وحدة : يموت ! ثم يقسم الشيخ جهد اليمين ليغسلن عار الرومان بدم هذا الابن الجبان .

الفصل الرابع : ولكن قاليرى وقد شهد نهاية المعركة يعود ويقول : استغفروا الآلهة فقد ظلمتم بطل روما ! انه لما بقى وحده أمام بنى كورياس الثلاثة ، وهم مجروحون وهو سليم ، رأى أنه أضعف منهم مجتمعين ، وأقوى عليهم منفردين ، فعمد الى الخديعة وأوهمهم أنه يفر فطلبوه . حتى اذا انفرد كل عن الآخر كر عليهم واحداً بعد واحد فقتلهم ، وبذلك انكسرت ألب ! فتنساغ غصة الشيخ ، ولكن كاميل تجزع على حبيبها جزعاً شديداً يفقدها الرشد فتنحى باللعنة والسخط على أخيها ووطنها . ويدخل حينئذ أخوها المنتصر فيسمعها ، فيثور فى رأسه الغضب ، فيلطخ انتصاره بدم اخته

الفصل الخامس : يجعل هوراس حياته فى يد أبيه تكفيراً عن الجريمة التى ارتكبها ، ويجىء الملك مهنئاً هوراس بفوزه . فيتقدم اليه قاليرى متهماً الأخ بالقتل طالباً موته ، ويستسلم القاتل لعدل الملك . ولكن الشيخ هوراس يتولى الدفاع عن ابنه فيقول: «معشر الرومانيين !! أترضون أن تقتلوا رجلاً لولاه ما كانت روما اليوم ؟ قل لنا ياقاليرى وأنت تريد قتل هوراس : فى أى مكان يقتل ؟ أبين هذه الجدران ، ولاتزال آلاف الأصوات ترن فى جنباتها بأعماله العظيمة ؟ أم فى وسط هذه الساحات ودماء بنى كورياس لاتزال تدخن فيها ؟ أم بين قبورهم الثلاثة فى ميدان الوغى وكلها شواهد على شرف روما وشهامة هوراس ؟ . . . » ثم تكون نتيجة هذا الدفاع البليغ البراءة .

ومما أخذه النقاد على كورنيي فى هذه القطعة الخالدة أنه لم يراع وحدة العمل . فجعل فيها عملين مختلفين ، الأول حرب روما مع ألب ، وينتهى بالمنظر الثانى من الفصل الرابع . والثانى قتل كاميل ومحاكمة هوراس وينتهى بالرواية .

يتبع

(الزيات)

شخصية ابن خلدون

فى

كتاب الأستاذ محمد عبد الله عنان

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى

هيأت لى فرصة حسنة قراءة كتاب الأستاذ عنان الأخير عن ابن خلدون وتصفح مقالات بعض كتابنا المصريين فى التعليق عليه ، وبخاصة مقال الدكتور هيكل والأستاذ العقاد . وقد لفت نظرى فى مقال هذا الأخير ملاحظة تتضمن أن عنانا لم يتناول شخصية ابن خلدون فى كتابه ! ولعل الذين درسوا الكتاب يذكرون أن كل فصل من فصوله حوى مادة غزيرة عن هذه الشخصية ، وإن لم تجمع هذه المادة فى فصل مستقل .

فلقد أفاض المؤلف كثيراً فى ذكر صفات ابن خلدون الخلقية والعقلية أى فى العناصر المهمة التى تقوم عليها كل شخصية . ولعل كتابه وعى من هذه الصفات أكثر مما وعى عن تراثه الفكرى الذى لازال الكثير منه مبثوثاً فى طى المجهول .

أبرز الأستاذ عنان صورة تقارب الحقيقة من صفات ابن خلدون المنيرة والمظلمة أبرزها كما هى بين النور والظلمة ، كما يفعل النابهون فى كتابة التراجم . ووقف من شخصيته موقفاً نزيهاً . فلم يقف منه موقف المحامى الذى يدافع عن الحقيقة حيناً ، ويستخدم فصاحته فى الظفر أحياناً ، بل وقف موقف القاضى النزيه الفطن الذى لا همّ له الا الوصول إلى الحقيقة ، والحقيقة دون سواها . وهذا هو موقف المؤرخ العلمى .

فها نحن أولاء نراه لا يقطع برأى فى خلال ابن خلدون حتى يرجع إلى الثقات الأذكياء من المؤرخين ، ويتخذ مقاييسه فى الحكم من أعماله وتصرفاته . ونراه أيضاً يربأ بضميره أن يطاوع بعض الكتاب فى الزراية بابن خلدون ونسبة القبيح إليه ، لئلا يكونوا قد اندفعوا فى هذا السبيل جريا وراء الانفعال الأعمى أو العاطفة الهوجاء . وهذا ما نوافقه عليه ، وبخاصة إذا علمنا أن لابن خلدون